المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 08-05-2007 العـــدد : 10388
الصفحـات : 20 المسلسل : 82

مبادرة السلام العربية.. وماذا بعد؟

اختتمت القمة العربية التاسعة عشرة في الرياض بإنجاز دبلوماسي سعودي تمثل بتأكيد تمسك الدول العربية بمبادرة السلام العربية، التي ترسم المنهج الصحيح للوصول الى تسوية سلمية للصراع - العربي الاسرائيلي، كما أبرزت القمة العربية التاسعة عشرة انجازا سعوديا آخر لا يقل اهمية عن الانجاز السياسي، ويتمثل ذلك بالترتيب والتنظيم الجيد للمؤتمر ومناشطه مما أبرز البعد التنموي في المجال الاداري الذي وصلت اليه المملكة. وإذا كان الانجاز الدبلوماسي السعودي قد جسد القدرة السياسية للقيادة السعودية في البعد الاقليمي، فإن الترتيب والتنظيم الجيد للمؤتمر قد جسد بدوره القدرة الادارية السعودية في البعد المحلي. لقد اكتمل نمو مبادرة السلام العربية من حيث الشكل والمضمون، ومنذ ان تم اقرارها في قمة بيروت في مارس عام 2002، وحتى قمة الرياض تعرضت المبادرة العربية للسلام للتحليل والنقد، ولم تقدم الادبيات التي تناولتها اي منطلق جديد يبرر تعديلها أو يمس مضمونها مما جعلها تفرض ذاتها في الساحة السياسية العربية كخيار استراتيجي وواقعي للسلام.

ان التساؤل القائم الآن هو: كيف سننزل هذه المبادرة العربية على ارض الواقع السياسي بتعقيداته المحلية، والاقليمية، والدولية؟ قبل الخوض في هذا البعد لمبادرة السلام العربية لا بد من تذكير القارئ العربي بمعالم هذه المبادرة تمثل مبادرة العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز التي تبنتها قمة بيروت العربية في مارس عام 2002 رؤية استراتيجية متكاملة للسلام في الشرق الأوسط تتمثل في مطالبة الجانب الاسرائيلي بالانسحاب من كامل الأراضي العربية المحتلة حتى خط الرابع من يونيو 1967، وقبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من يونيو 1967، وتكون عاصمتها القدس الشرقية، والتوصل الى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم 194، في حين تطلب المبادرة من الجانب العربي تلبية ثلاثة مطالب تتمثل بـ: اعتبار النزاع العربي - الاسرائيلي منتهيا، والدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل، وإقامة علاقات طبيعية معها. وحيث ان هذه المبادرة قد تبنتها الدول العربية في قمة بيروت وأكدت التمسك بها في قمة الرياض بما في ذلك الجانب الفلسطيني والذي أكد قبوله بقرارات القمة العربية، فإن هذا القبول العربي الجماعي بالمبادرة قد أنهى المرحلة الاولى في مسيرة السلام الاقليمي وحان الاوان للانتقال الى المرحلة الثانية والتي تتمثل في تهيئة البعد الدولي لتبني المبادرة وتحقيق السلام. وقبل الدخول في مسار البعد الدولي يحسن النظر في مسألة ترتيب البيت العربي، وفي الموقف الاسرائيلي من المبادرة.ان الانتقال الى المرحلة الثانية في تفعيل المبادرة العربية للسلام يتطلب مزيدا من توحيد الموقف العربي والاستعداد الجاد لدفع مستحقات السلام، وهذا يعني ان المجموعة العربية لا بد ان تعيد ترتيب فريقها التفاوضي ليصبح اكثر انسجاما وواقعية، فما دام ان الاجماع العربي قد تحقق حول المبادرة، فحبذا اعادة النظر في جدوى (لجنة السلام العربية) والتي تشكلت بعد اقرار المبادرة في قمة بيروت، وتضم في عضويتها 13 دول عربية، بالإضافة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، فهذه اللجنة تضم أكثر من نصف الدول العربية مما سوف يعقد من مسار المفاوضات ويحد من القدرة على التحرك الدبلوماسي، خصوصا وان الاجماع العربي على المبادرة قد تحقق في قمة بيروت وتم تأكيده في قمة الرياض والمطلوب الآن هو تحرك عربي فاعل ومستمر، لذا فإن اللجنة الرباعية العربية والتي تضم في عضويتها اربع دول عربية (السعودية، مصر، الامارات، الاردن) قد تكون كافية لتفعيل المبادرة وإضفاء طابع الشرعية العربية عليها لا سيما اذا اضيف لها الأمين العام لجامعة الدول العربية. فهذه اللجنة تضم المملكة العربية السعودية صاحبة المبادرة والراعية لاتفاق مكة بين فتح وحماس، ومصر والاردن اللتين لهما علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ويمكن ان تكونا حلقة وصل في المساعي الدبلوماسية، في حين يمثل وجود دولة الامارات العربية والأمين العام للجامعة العربية، تعميقا للبعد العربي كما ستستفيد اللجنة من امكانات الجامعة العربية ومن قدرة عمرو موسى التفاوضية. اما بالنسبة لإسرائيل والتي لم تعلن بعد رسميا قبولها لمبادرة السلام العربية، فإنه لا خيار لها في نهاية الامر الا قبولها، ذلك ان المبادرة تتضمن خيارا استراتيجيا وليست بنودا تنفيذية محددة والتي ستخضع لاحقا لمفاوضات طويلة ومعقدة. ان ما هو مطلوب من حكومة اسرائيل في هذه المرحلة ان تعلن للعالم رغبتها في السلام والتعايش السلمي مع دول المنطقة، وبدون هذا الاعلان فإنها ستكون مسؤولة عن توقف قطار السلام. ان السلام في الشرق الاوسط ليس مجرد اتفاق يتم وراء الكواليس بين الحكومات ويحفظ في ارشيفاتها السرية، وإنما يعني قبولا شعبيا عربيا لكيان غير مألوف في المنطقة. ولذا فإنه في مشكلة الشرق الاوسط يجب ان تحل الدبلوماسية العلنية محل الدبلوماسية السرية لأن الهدف ليس مجرد الوصول الى اتفاقية وإنما تغيير القيم السياسية والمواقف بغية تشكيل واقع جديد وأرضية حقيقية للسلام، وهذا يتطلب شجاعة سياسية من كل الاطراف المعنية، وإذا كانت القيادة السياسية السعودية قد تحلت بمثل هذه الشجاعة السياسية وقدمت المبادرة، كما ان القيادات العربية قد قامت بدورها بمباركة

المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 08-05-2007 العـــدد : 10388
الصفحـات : 20 المسلسل : 82

محمد الحلوة *

هذه المبادرة، فإن الدور قد جاء على القيادة الاسرائيلية لتتحلى بالشجاعة السياسية التي يتطلبها السلام وتعلن للشعب الاسرائيلي وللعالم قبولها بالمبادرة العربية للسلام، لتكسر بذلك ما بقي من حاجز نفسي يقف في طريق السلام.

ان الشيء الجيد والجديد اننا بدأنا نسمع مؤخرا عن تطورات ملحوظة في اسرائيل تنبئ بحذر عن رغبة في اسرائيل للسلام، فقد وصف مسؤول اسرائيلي كبير المبادرة العربية للسلام، بأنها تمثل تطورا «ثوريا» في الموقف العربي، وهذا ما يتطلب ظهور تطور «ثوري» مماثل في الموقف الاسرائيلي، خصوصا وأنني اعتقد اكثر من اي وقت مضى ان شريحة واسعة من الشعب الاسرائيلي بدأت بالفعل تعتنق قيم السلام نتيجة لاعتبارات عديدة اذكر منها: أولا: العقيدة الامنية الاسرائيلية تخضع في الوقت الحاضر لإعادة تقييم ملموس، فقد شدني في شهر سبتمبر عام 2005 ما نشرته صحيفة «معاريف» الاسرائيلية من ان فريق عمل اسرائيليا يضم شخصيات عسكرية، وسياسية، وأكاديمية تعمل على اعادة النظر في المنظور الامني لإسرائيل، وان من الجديد في المنظور الامني الاسرائيلي ان الأراضي العربية المحتلة عام 1967 بما فيه الضفة الغربية وهضبة الجولان السورية قد فقدت اهميتها الامنية بالنسبة الى اسرائيل وكانت المبررات التي انطلق منها فريق العمل الاسرائيلي واقعية وتتمثل بسببين: الاول احتمال تلاشي نشوب حرب مباشرة وجديدة بين الجيش الاسرائيلي والجيوش العربية، كما كان في الماضي، حيث حل محل حرب الجيوش تعاظم تهديد الصواريخ القريبة والبعيدة المدى، وما قد تحمله من رؤوس حربية غير تقليدية، إضافة الى ذلك التهديد الذي يشكله الارهاب العالمي ضد اسرائيل تحديدا، حيث لا تعود هناك جدوى لاحتفاظ اسرائيل بالضفة الغربية، اما السبب الثاني فيتمثل بزيادة اهمية الأسرة الدولية بشكل كبير وتعاظم قدرتها على فرض خطوات على دول العالم، الامر الذي سيؤدي الى ممارسة ضغوط اكبر على اسرائيل لإنهاء سيطرتها على الاراضي المحتلة. ولا بد من الاشارة الى ان التقرير تضمن ايضا ان فريق العمل الاسرائيلي ركز على حقيقة ان الوسائل التكنولوجية التي في حوزة اسرائيل تتيح لها الدفاع عن نفسها وشن هجمات على مواقع ابعد وأكبر بكثير من مناطق الضفة والجولان. ثانيا: لقد ظهرت اصوات قوية داخل اسرائيل تنادي بقبول مبادرة السلام العربية والمتابع للصحافة الاسرائيلية وردود الافعال السياسية في اسرائيل على مبادرة السلام العربية يستنتج ان تحولا بدأ يظهر في الموقف السياسي لبعض القيادات الاسرائيلية، ويكفي على سبيل المثال لا الحصر انه عندما دعت وزيرة الخارجية الاسرائيلية (تسيبي ليفني) قمة الرياض الى تعديل مبادرة السلام العربية، اثارت هذه الدعوة ردود فعل غاضبة لدى بعض الزعامات والنخب في اسرائيل، فقد قال زعيم حزب (ميرتس) الإسرائيلي: «إن اقوال ليفني، تمثل خطأ فادحا ويمكن ان تضر بمصالح اسرائيل الوطنية». واضاف قائلا: مبادرة السلام العربية هي خطوة تاريخية وغير كليا الموقف العربي الذي تم اعتماده منذ عام 1948. يضاف إلى ذلك رفض حركة (السلام الآن) وغيرها من الحركات الاسرائيلية تصريحات ليفني. لقد قتل قتل المغادرة العسكرية الإسرائيلية الاخيرة في لبنان والضغوط الاقليمية والدولية وحنكة القيادات العربية من نفوذ دعاة الحرب والاستيطان في اسرائيل. ثالثا: الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية، والتي زرعت اسرائيل في المنطقة وغذتها بمقومات غير شرعية للبقاء، وجددت نفسها محاصرة من قبل الحكومات والشعوب المحبة للسلام، كما رأت مصالحها الاستراتيجية في المنطقة تحاط باخطار غير متوقعة وان نفوذها الاخلاقي والسياسي قد تلاشى في كثير من العالم الغربي والإسلامي والعالم الثالث بسبب دعمها اللا محدود لإسرائيل، وما تقوم به من ممارسات لا اخلاقية تتنافى مع ما تنادي به الدول الغربية وبالذات الولايات المتحدة الامريكي من احترام لحقوق الإنسان وقيم العدل والديمقراطية. لقد اكتشف المواطن العربي ازدواجية الموقف الغربي وبالذات الامريكي مما جعله يزدري مواقف هذه الدولة وما تنادي به من قيم ومبادئ امية، فقد دفعت هذه الصور السلبية للولايات المتحدة الامريكية بصناع القرار والنخب في الولايات المتحدة لإعادة النظر في علاقات امريكا مع شعوب المنطقة العربية والإسلامية، والاهتمام اكثر من اي وقت مضى بالدبلوماسية العامة وهي الدبلوماسية التي تخاطب النخب والشعوب، ومثل هذه الدبلوماسية تتطلب ضرورة اعادة النظر في المواقف الامريكية في المنطقة العربية. ما ذكرناه سابقا من اهمية ترتيب البيت العربي والتطورات السياسية داخل اسرائيل له اثر كبير على نجاح مبادرة السلام العربية في تحقيق اهدافها ويبقى امامنا مسألة تضمين البعد الدولي في المبادرة وهو بعد لا يقل اهمية عن البعد الاقليمي الذي تناولناه فيما سبق. من المعلوم ان اسرائيل تعتمد على اطراف دولية خامة في تنفيذ سياستها ولعب دورها الاقليمي ولتضمين البعد الدولي في المبادرة العربية فقد طرح بعد قمة الرياض في الادبيات السياسية مسألة نقل المبادرة الى الامم المتحدة بغية توثيق المبادرة وإعطائها صفة المرجعية الدولية بيد ان مثل هذه الخطوة يجب التفكير قبل الاقدام عليها، ذلك ان تجربتنا مع الامم المتحدة وقراراتها غير مشجعة على الاطلاق، وعلينا ان نستعرض قرارات الامم المتحدة ومعها مجلس الامن الدولي تجاه القضية الفلسطينية وماذا كان تأثيرها؟ يضاف الى ذلك ان عرض المبادرة على الجمعية العامة للامم المتحدة او حتى على مجلس الامن الدولي سيعرض المبادرة للمراجعة وقد تفرغ المبادرة من مضامينها الاساسية، كما ستعطي اسرائيل فرصة للنيل منها وتضمين مطالبها. ويضاف الى هذا وذاك قوة تأثير اللوبي الاسرائيلي في آلية صنع القرار الأمريكي خصوصا مسألة حق استخدام حق الاعتراض لعرقلة اي مبادرة لا تنال رضى اسرائيل. لذا علينا ان نعمل ما امكن على ابعاد المبادرة عن متاهات المنظمة الدولية طالما ان المنظمة الدولية اصبحت كيانا ضعيفا يستخدم لإضفاء الشرعية على قرارات تخدم مصالح الدول الكبرى. الخيار المتاح والمفيد لتفعيل المبادرة العربية للسلام في البعد الدولي هو التعاون الثنائي بين (اللجنة الرباعية العربية) والتي تضم السعودية ومصر والاردن والإمارات العربية المتحدة، يضاف اليها الامين العام لجامعة الدول العربية، واللجنة الرباعية الدولية والتي تضم الولايات المتحدة الامريكية وروسيا والاتحاد الاوروبي والأمم المتحدة، حيث يكون التواصل بين اللجنتين حسب ما تتطلبه عملية السلام، ان هذا التعاون بين اللجنتين هو افضل خيار دولي متاح لتفعيل المبادرة العربية للسلام نظرا لقدرة اعضاء اللجنتين (العربية والدولية) على التأثير على اطراف القضية من جانب، ولتمثيلها الأبعاد الإقليمية والدولية من جانب آخر، كذلك يوفر هذا التعاون المناخ الملائم لعملية السلام، وما تتطلبه من تواصل مستمر وقدرة على اجتراء اي

المصـــــدر :	الشرق الاوسط		
التـــاريخ :	08-05-2007	العـــدد :	10388
الصفحـات :	20	المسلسل :	82

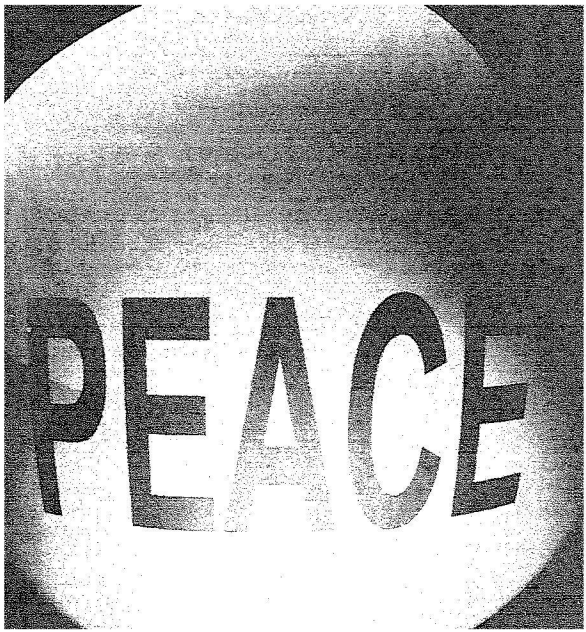

مستمر وقـدرة على احتواء اي صعوبات قد تظهر في مسار عملية السلام. تبقى ملاحظة اخيرة لا بد من الاشارة اليها في نهاية هذه المقالة وهي اهمية توفر بيئة ايجابية دولية للسلام لنجاح المبادرة العربية وفي هذه البيئة يتضح ان اصعب التضاريس السياسية موجودة في الساحة الامريكية نظرا لطبيعة صنع القرار الامريكي والتي تهيمن عليه جماعات المصالح. ونظرا للثقل الامريكي في الساحة الدولية وللعلاقة الاستراتيجية المميزة بين الـولايـات المتحدة الامريكية وإسرائيل، لذا فإن المطلوب الآن في هذه المرحلة هو استهداف المجتمع السياسي الامريكي، خصوصا مراكز صنع القرار الأمريكي ويأتي في مقدمة ذلك البيت الأبيض والكونغرس الامريكي وجماعات المصالح. ان المطلوب هو تغير استراتيجي في الموقف الامريكي، وليس مجرد جبر خواطر الدول والشعوب العربية وهذا يتطلب جهدا واستثمارا سياسيا غير عادي خصوصا من قبل الدول العربية التي لها علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الامريكية مثل المملكة العربية السعودية، وبقية دول الخليج العربية ومصر والأردن والمغرب.

لقد قدمت المبادرة العربية فرصة جيدة للسلام في المنطقة ونأمل ان تسخر الجهود اللازمة لاغتنام هذه الفرصة، خصوصا ان المسار التاريخي للقضية الفلسطينية اثبت ان الحروب لا يوجد فيها منتصر، بل الكل منهزم ولكن بدرجة متفاوتة وان استمرار حالة اللا حرب واللا سلم فيه عدم استقرار للمنطقة ومزيد من المعاناة لجميع شعوبها.

* كاتب سياسي وعضو مجلس الشورى السعودي